سلسلة آفاق عربية
163



نجاة عبد الله

حين عبث الطيف بالطين

شعر

الهيئة العامة لقصور الثقافة

حين عبث الطيف بالطين

شعر

نجاة عبد الله

وزارة الثقافة



سلسلة
آفاق عربية

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

• حين عبث الطيف بالطين
• نجاة عبد الله
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة 2013م
5ر13 × 5ر19 سم
• تصميم الغلاف: أحمد اللباد
• المراجعة اللغوية: محمود أبو عيشة
• رقم الإيداع: ٢٣٦٢١/ ٢٠١٣
• الترقيم الدولى: 3-594-718-977-978
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى : 16 أ شارع أمين سامى - قصر العينى
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

163

سلسلة شهرية تعنى بنشر أعمال الأدباء العرب

الأراء الواردة فى هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة بل تعبر عن رأى وتوجه المؤلف فى المقام الأول.

حين عبث الطيف بالطين

الإهداء

إلى حياتي التي

كلمتني ذات يوم

لأصاب بخرس العيش

وجنون الكلم ،

إلى العراق الذي يبكيني

ويرسم وجهي بتضاريس غيابه.

خطيئة آدم

التفاحة في يدكَ يا آدم

واللعنة في عينيكَ يا إبليس

هاتها من يدكَ

هاتها من عينيكَ

ودعا الخديعة ترقد بسلام .

....

كلما آتيكَ بها تأتي إليَّ

خجلى ،

مثل شجرةٍ تخشى تفاحها وخطاياها

كلماتكَ التي ،

تغرق في السؤال

. أرضكَ المنشغلة بغيرك

ورأسكَ المتكئ على الريح .

...

المسَرة ما بين قلبكَ ، منكسرًا

وسؤالها الأجراس

لما دنوتَ من الوهج

توزع الأعياد ....

آخر مهد تصنعه الحروب

والرجل المقتول

يتذكر الحقيبة والحبيبة

والنار التي يحلف بها إبليس .

.....

ضوء خافت

يتلألأ خلف سؤالكَ

مَنْ أنتْ !!

تعقد كفيك

وتنصتُ لأنين النار .

.....

شمعة ..

يحترق صمتكَ ،

مطرٌ

هذا الكلام

المحتشد في فمكَ الميت ،

علّكَ تراني تفاحة تصهل خلفي .

....

يهبط الغيم حزينًا لسؤالكَ

منطويًا على دمعته

أهذا العمر لكِ أيتها الأخطاء ،

ندندنُ كما الفرحة

على الشباك

نفتحُ أذرعنا المشلولة

ونرسمُ على الفم ضحكة بلهاء .

.....

اقتربَ المطر الفضفاض

عصافيركَ

نائمة بين يديك

أرضكَ

لا يطؤها الموت

رحلتْ أول الشموس

وهرمتْ آخر الأوراق

يابسة

ساخرة

هشة

عمياء .

أعوذ بصمتك

هائلا

كما الخطيئة

خائنًا

كما التفاحة

مرتديًا

أرضكَ

تدهشها الحياة .

يأنسُ

لمرآه

وحيدًا

رجلٌ

يحسد الشقاء

على النار،

يصطحب إخوته

أزهاره المضطربة

جمرته

نواح الأمهات

طريدته الروح

أتاكَ بها،

رهبة في عينيه

تفاحة

تقتحم أسرار الجنة

وتلوك بأحلام النار.

القبرُ متسع

بارد

وأليف،

كلهم يترقبون

خطأ في يدك

دهشة في عينيك

يقضمون

تفاحة

غيبتكَ الباردة .

سقطتْ في يدك البريئة

قفزتْ إلى فمك السعيد ،

خلف النافذة يضحك إبليس

هبني أرضًا لا أفرح فيها

ورداءً يسع الموت بياضه .

الشجرة نائمة

تهمّ بالعزلة والليل

التفاحة التي

دنوتَ من فمها

تستحي من الريح .

يدكَ الممتدة

تقطفُ أسئلة النار .

الأموات يغدون خلفك

أيتها التفاحة

يرتدون

لعناتهم

وبكاءهم

أرواحهم تغرق في الحياء .

بعباءتها البيضاء

تهبط كالأخطاء

آلامكَ المعلقة على الشجرة .

في كلّ قمرٍ

وجه لخطيئتكَ

جرح نحتمي بغيابه

جمرة تشبهُ تفاحتك المنطفئة

وضوء لضحكة إبليس .

ينقل خطوته الباردة

ينشر أجنحته الميتّة

ويلقاكَ وحيدًا
تُداعبُ الخطيئة
تشدُّ على
طينكَ وطيفكَ وخديعتكَ
كلما ترشدُ ميتًا
إلى القبر
وتملأُ فمه بالصراخ .
تجلسُ كما الحياة
النافذة الشرهة
تكدّسُ حولها الأموات
أرواحهم
ترفرف فوق البحار
نظراتهم
تبحثُ عن التفاحة
خلفهم إبليس ،
فوق الشجرةِ
آدميون

يسعلون

ويرمونكَ

من فوق خطيئتهم .

بابٌ

يطرقُ بابًا

شمسٌ ترحل فيكَ

ضوؤكَ الوحشة

وعلى جبهتكَ بعض

من رعونة إبليس .

الرماد

يعلو نظرتكَ ،

باهتة تتسلق النار

مسرعة

تتفقد كفيكَ ،

وجهُ مَنْ

هذا الذي

تنحتُ

نوارسَ من طين

وتكتبُ على

أحزانهِ

النار .

ها انتَ تقترب ،

البحرُ

صديق من ماء

والوجع الناعس

ظلكَ

يترقب سقوطها

من الشجرة البيضاء

أخطاءكَ الهرمة .

الصرخة لا تبدو خضراء

الشجرةُ ذات الطحالب الخضر

في حديقة البرلمان

يحتشد حولها الصبية

يكرزون عروقها اليابسة ،

حشدٌ من الرؤساء

يأخذون معها صورًا تذكارية

معلقين عليها

البالونات الحمر والأجراس

ذات الرنين الحاد ،

الأمهات ذوات المعاطف المطرية

في عِرقها الأكثر مناجاة للرب ،

لكن الصرخة لا تبدو خضراء

والأغنية التي

ينشدها المجانين

خلف الأسوار

وبين الغرف المظلمة

تأخذ عِرقًا آخر ،

والأمهات اللواتي

غادرنَ الحرب على عجل

لا يعرفنَ غير شواء الخبز

فوق العروق اليابسة ،

يارب اجعلها

أكثر ترفًا من النار ،

لا أنوي مراقبة عصافير

تهرب منها

أو الجلوس أمامها طويلا

تاركة عملي اليومي

في رسم صورة حرب

رحلتْ .

....

أعرفُ طريق العودة منها

والحذرُ من التلفت نحوها

بعدما أسمع صراخها الذي

لا تخلقه الريح

أو البالونات

أو الرؤساء

او الأمهات

صراخها الذي

لا يسمعه أحد .

برج الحوت

(1)

الخريف
بلد الأمهات
جاءَ وحيدًا
يُقبّل الأبواب .

(2)

قلبي بريء منكَ
أيها الألم ..البياض ،
قريةٌ سوداء
تُزين ذاكرتي بالعصافير ،
أقدامٌ غرّة
تركض خلف السراب . .

(3)

ظِلُّ الرُجل الغريب

يعزِفُ الماء

على الصخرة السوداء ،

العجائز يرقصنَّ بهدوء

الأطفال التفوا حول الفراشات ،

العاشقة تدخل في برج الحوت

تُخرج عاشقًا

يهيم فرحًا

في قلبها ،

قلب الفراشة التي

ظَلَّ يسرقها الأطفال

من على كتفي رجل

يعزِفُ الماء

على الصخرة السوداء .

الآلام ترقص بهدوء

والنوارس تهبط

في ليل العاشق ،

العاشقة تدخل في برج الحوت

تُخرج عازفًا

ظلًا عاشقًا

يعزفُ

ظلّها

على الدمعة السوداء ،

ظلُّ العاشقة

التي

حلقتْ على كتفيها

النوارس

وبكتْ على جنبيها

الفراشات .

يا رمل حدائقها البكر

إحصِ خطواتكَ اليافعة

وأنتَ تهبْط السلَّم الطويل

السلّم الذي

تجثو على جنبيه

أزهار بيض

قيل إنها الياسمين بعطر

قيلَ إنها الشمس

تخدع الأشجار

وقيلَ إنها القمر

لم يعد قصيًا

اقطف يدكَ قبل التدلي

وعاقب نفسك التي

توسوس للسلالم

بغيبة أريجها ،

إنها فردوسكَ الذي

يرسل المساءات الباردة

تماثيل من الثلج

وعباءات تفترس خيالها

صِباها ودمعتها المنسكبة

في قدح براءتها

على السطوح الطينية

سنديانات تزهر أمهات بلا أشواك

ونوارس فقدت تاريخ هجرتها .

....

إحصِ قمصانك ،

يدين لها المهرج

بالطفولة الماكرة

والأب ذو الشارة العسكرية .

....

يا رمل حدائقها البكر

هل تزيح القلب

لأنه لا يثمر زهرة ترقص

طوال الربيع

وفي كل خطوة يزرعها الأعمى

تحسب الجمرة ياقوتًا

يقتله الحراس الذين

يسهرون على

خراب هذا العالم .

....

يا هواءَ يلدُ الأنين

كلما بالغتَ في القطف

وكلما تدحرجتْ

ظنون الشتاء ،

اليكَ بالنهر

وأنت تمرّن الوحشة

على قضاء ليلة سعيدة ،

إليكَ بعصافير

تشهر حياءها بوجه الغريب

يا غريب عليكَ بالأزهار

والسلالم

والنجمة إذا سقطتْ

يا غريب إسرجْ دموعكَ السعيدة

كشراع في الهواء

إسرجْ خيلكَ التي لا تلين

وأطفالكَ اليتامى

وثعالبكَ التي يهدهدها الغريب ،

وأنتَ تهبط السلالم

صرتَ طريدها الآن

وصارتْ أقدامكَ إرجوحة

تمرحُ على جنبيها

أشواك الكهولة

إذا غضبت .

محاذير

إحذرْ

بارود الصُدَفة

قد يأخذكَ شهيدًا

في دمية خاسرة .

.....

إحذرْ الدبابيس

قد تجرح عمركَ

وترديكَ حيا .

....

إحذرْ الأيام

قد تُنسيكَ

لُعبة الفراق .

.....

إحذرْ فمكَ

قد يصرخ مرتجفًا

في البراري .

......

إحذرْ الأربعاء

قد تنجب أحد اثنين

يتيمًا أو دمعة رعناء .

.....

إحذرْ الأزهار

قد تكتم عنك

حدائق النسيان .

......

إحذرْ النوم

قد يُفسد عليكَ

أمسًا صاخبًا .

.....

إحذرْ الصباح

قد يبيعكَ ليوم آخر .

.....

إحذرْ الدرس

قد تكون الأول

في لائحة الأخطاء .

الوطن البهي

لا تعجبْ ... !

وأنتَ تراني

أتنزهُ في وطني

أُداعبُ

شُبه ظلٍ

اخترقَ النُعاس

ورفعَ الوشاح عن الوهم ،

دونَ أن يوصد الباب

بوجه النحيب

لا تعجب .... !

ربما تحصل على لوز البراءة

وعسل الجنوب

وأنتَ تراني

أتوضأ بميسم الوحشة

وأصَلي عند قدميكَ ياوطني

أنازعُ نفسي

على نحاس قبابكَ

وصوت عصافيركَ النائمة

آه

أيها الوطن البهي

يامِسّك نهر هائج

توجه إليَّ الآن

في هذه الليلة

غير الموثوق بظلمتها

ضعْ قرب رأسي

زهرة الفجيعة

دون أن توخزني

بحرارة ذكراك .

قصائد قصيرة

(1)

مثل قلادة ثقيلة

أتأرجحُ ما بين روحٍ

كدفء الأب في الشتاء

وما بين أمٍ تتعاطى الأسبرين

كلما تضع طفلًا بلا جدران .

(2)

لي قطة لا تأكل غير بريق الجوع

وتذهب لتقضم الأيام على مهلٍ ،

لي وطن لم أذق من فرط تخمته

غير تمره السيء المزاج .

(3)

ليتني إبنة سمراء لأبي الطيب
لقطعتُ وردة عمري
ونسجتُ على قلبها قُبلة باردة .

(4)

نسافرُ إليكِ جميعًا أيتها الآلام
نقُبل وجنتيك البريئتين
من دم الأعداء ،
نسافرُ إليكِ
ونموت فينا
نموت من الضحك علينا
على وجوهنا الباردة
وأناملنا السود .

(5)

هل تخشى إبتسامتي المعذبة

وهي تموت شيئًا فشيئًا

على ياقة قميصك الأسود ،

هل تخشى دموعي الساخنة

وهي تحيك من الرموش

سدًا منيعًا

لا يوصلها إلى الرب

وإن كانت

من أجل صديق

كفّنت الحرب أسراره الخاطئة .

(6)

أيها البوم

ياذا البياض الفاسق

والنظرة الحمراء

عُد إلى سمائك النقية ،

ربما التقيكَ في الشارع

تتبضع الأسف

وتسرق قطرة حياء

من جبين أحدهم

عُد إلى النوم

قد لا تلتقيكَ العصافير أبدًا .

(7)

أضاعَ الوردة السيئة الحظ

حين هطلتْ أمطار تشرين

أضاعَ رائحتها القديسة

وأشواكها البتول ،

هذا المجنون

وهو يُداعب زهرة النرجس

ويمضغ خريف عودتي

كلما زهقتْ

عصافير الصباح .

(8)

لوحتُ إليكَ

بقلب من ذهب

ويدٍ

أهالوا عليها النداء .

(9)

كلهم غرباء

قطفَ الغيم وردتهم

وفرّقَ النوح

أصابعهم

نسألكَ شمسا أيها الضباب .

أنتَ .. أنا

أنا نفسي

وإن تموت بعيدًا

أنتَ غيري

يسّركَ الهواء .

أنا قامتي

وإن قصرتُ

أنتَ رأسكَ

وإن تملَ سواك .

أنا أمي

وإن أرضعتكَ التراب

أنتَ أباكَ وإن شاب .

أنا صمتي
وإن تكدّسَ
على المنافي ،
أنتَ صراخكَ
وإن سَمعتْ .

أنا بهجتي
لا تُحزن غيري ،
أنتَ ردائي
وإن ألبسته عريكَ .

أنا القرية
لا تحفل بك ،
أنتَ غربة
لا مأوى لها .

نزهة

أول الكلام

كُنتَ هدفًا للمرايا

لماذا رميتَ الحجارة فيك؟!

آخره

لم أُقبّلها قط

كنتُ أتنزه في الظلام

حين سقطتْ

أقواس شمسها ،

أضعنا نورسًا صغيرًا

وفطمناه

من هوس البياض .

قلت لم أصفعها قط

تلك الصورة الذهبية

كنتُ أتنزه في الظلام .

خريف

جثث .. جثث

أيتها الأزهار ،

حين أمسكتُ بكِ

علقكِ الصباح

رمادًا في عنقي .

رحلة باردة

القبور الصغيرة

صغيرة،

والرجل الميْت فيها

محض طائر

والفراشات حوله

لا تنوح

وتنظرُ بشقاء أقل

إلى السماء البعيدة .

رحلة ساخنة

حين دسستُ لكَ الربيع

وقبلتُكَ من مفترق الشظايا

رددتَ عليَّ اليوم ميْتًا

بلا خريف يحنو عليه .

غبطة

نحن أخوة يا أبي

هكذا يقول الصباح

وهكذا يقول الندم .

فوز

لمَ تُقبل جوادكَ

وتسبقه في المسير

ولمَ تُداعب قفزته

وتسبقها في الكهولة

ولمَ تكسر الحلبة

وتسبقها في الموت .

....

أيتها الذكريات

جففي دموعنا

ولنصفق كالحمقى

حين يتبادلون فوزًا خاطئًا .

محو

عليكَ أيها اللون

أن تكون مقاتلا

أو نبيًا

لترد شرف البياض .

غفوة

كان نوما طائشًا

أمي تطعمني الحليب

وأبي مكتوف القارب ،

لماذا ترقص إذن

أيها الماء المنسكب

من كف الجوع

ولمن تُغني تلك الأرامل

قرب النوافذ .....

أدعوكِ أيتها اليقظة

أن تُمسكي صباحًا سعيدًا

وتكتمي أقداح الحليب ،

حبات الرمان

دقائق القهوة

وتتركي لنا

نومًا طائشًا .

عوائل

لدي بيتٌ سعيد

هذه المروحة للسقف

وتلك اللوحة للحائط

وهذا الطفل الأدرد للنسيان ،

لديَّ أصابع رعناء

هذا التمثال المتكسر لي

وهذه الصبية للضجر

وتلك أنا

أواصل صنع الرصاصات

لأبني حروب الثلج .

بين الخديعة والصحراء .

لوحة

أنا أشُبه صورتي تمامًا

لكنكَ تختلف

في صرخة فمي

ونظرتكَ الميتة .

حلم

الليل طويل

مثل عباءة أمي

يرعبها الضباب ،

والنوارس كبيرة

مثل شواطئ

سرقها الصياد

فلماذا أكرُهكَ

ما دمتُ

أغرقُ في الحائط

وتغرقَ في المسامير .

حين عبث الطيف بالطين

كنتُ أمضغُ

عشبة سرورِكَ

يا أخي الذي

حملته النوارسُ إليكِ

أيتها الريح ،

أرددُ في مؤخرة العصافير

لو تبيض الأيام

مثل جناحيكَ

أو تغزل الشوارع ظِلَ فقدانك

يا أخي الذي

كدتَ أن تحط

لو أن الربيع تأخر قليلًا ،

كنتُ مصباحكَ لا يكفي

وكنتَ عودكَ الغضَ

ودمكَ الفائرْ

كنتَ تسدّد الرمية

بدمعة كسولة

كنتُ حائرةً كالدمية البريئة

حين عبثَ الطيف بالطين ،

كنتَ رصاصةً تهربُ منك

وكنتُ سمراءُ

حين هربَ الاحياءُ من الجرّة

كنتَ نحيفًا

حين سار الليلُ إلى الليلِ ،

والنهارُ إلى جثةِ الحربِ

كنتُ حربًا

حين صافحتُ وجهكَ الغضُ

وكنتَ غضًا

حين خرجَ السلام

من جثةِ الحربِ .

يداى العائدتان من الحرية

كم أحنُّ

إلى ذاكَ الخزف المرهق

وهذا الفرس الهرِم

الذي اقتادوه مع ابتسامةٍ باهتةٍ

كي ينسجوا

جسدًا للحرية

وتماثيلَ

تُقرع عندها الأجراس ،

أذهبُ إلى نفسي

التي وجدتها مثقلة بندوب المطر

أصرخُ بها .. !

كأنها قرية مني

أو خصلة من المساء ،

ماذا فعل بكِ الصقيعْ

ماذا فعلت بكِ الأجراسْ

وماذا فعلت لك تماثيل الحرية .

....

لم أُنبئ أحدًا

غامرتُ بياقوتة حزني

وألتهمتها

لم أُجامل تلك المرأة الطيبة

التي أرتبكتْ قليلا

وأنا أناديها ..أيتها المسكينة

هذا فمي الذي

عادَ من المرج

وتلك يداي العائدتان من الحرية

اطلقي العنان

لضوء عينيك الأحمرَ

وأقدامكِ الصفراء

وبكثيرٍ من الرقة واللطافة

إترك نورًا ضئيلا

كي أبتلعَ ما تبقى من الأحزان .

حدائق

أهذا أنتَ...

أهذه أنتِ....

هل نحن هؤلاء .....

أيها العاقول

ما دمتَ تقدم لنا

وردا ذبيحًا

على مائدة السلام .

...

مزّقت الأصنام وعبدتِها

يا روحي تعللي يتمًا

بتلك الملائكة الميْتة .

...

تدحرجي

تدحرجي

أيتها الحدائق

لستُ صديقة لأحد

ولا عدوة لغيري ... !

......

تدحرجي

أيتها الأكف

لستُ يدًا لكِ

أو أصابع لأحد .

الحياة التي...

الزهرة تورق جُرحًا

تلكَ التي تخيط لها

رداءً من عسل .

الحياة

التي أستطيع ،

أفقدُ غناءها

الآن .

الحياة التي

تلوي عنق العصافير

تصدحُ للريح

تكررُ الليلة الماطرة

تغلقُ الصباحات الباردة

على الأبواب ،

الحياة التي

لا أستطيع

تفقد غناءها الآن .

قرب الأرض الملثمة بالنوارس

يتدلى من يدي

ثوبها الذي علقته السماء ،

أترقبُ بياض الشجرة

عجوز تطعم القطة تعب السنين

تمر الغيوم

فوق ردائها المزركش

الغيوم ذاتها التي

تخنق نافذتي

بعويل الصباح .

لها وجه فلاحة

وملامح تمر لا ينضج ،

لها قامة شجرة

وعراء غابة كهلة

علّمها

علّم هذه الحياة

أن لا تلوح للأعياد

وأن تعض على المنجل

كلما يشتد بها الغيظ .

أبي

كان بإمكانكَ

أن تدرك الدمعة

قبل أن تكتب لك الحرب

ولدًا آخر

لا يشُبه عبد الكريم عبدالله

أو الغرفة الحجرية

في الطابق المجهول

في المدينة التي ،

كلما غازلت صباحها الفج

أهدتني يومًا آخر

وصبيًا آخر

لا يشُبه القرية السرّية

والعنب الذي يتركه الطغاة

على الأسوار المنسية ،

كان بإمكانكَ يا أبي

أن لا تحمل الطابوق ثلاثين عامًا

وكان بإمكاني أن لا أُعطيكَ

وجهي الصغير

أناملي المرتبكة

وأنت تُلقي فيها التراب .

....

نبذة غير سعيدة

عن الدراهم السود .

قصائد قصيرة

1

لما تزل شجرة النوح

أقطفُ دمعةً منها ،

تثمر ميْتًا في البلاد .

2

أغدو خلفكَ ..

قدمٌ في القلب

وقدمٌ في الباب .

3

كنا نقتسم القهوة

كنا نقتسم الصباح الأسْود

يدهُ تُشير إلى العصافير الوقحة

ويدي تُشير إلى الفنجان .

4

في الليل

تضع العجائز

أسنانهن

ونظاراتهن

وابتساماتهن الميتة

على خوذة بيضاء

ويذهبنَّ إلى الحرب عميقًا .

5

كلنا

قرانا

مادمنا نزرع

الأمهات

على الأبواب .

6

لم أغرق في النوم

حين قلعوا مني

ضرس الطمانينة .

7

قلبي أغمسه في الشاي

يتفتت بين أصابعي

وأنهضُ

كمن يفقدُ برتقالة .

8

أترقبُ قلبكَ

من قدح الشاي

حتى صراخ الوردة .

9

لما حلّقَ الفرح

كان الطير

مثل كل الأسئلة

ينام وحيدًا .

10

الشوارع عاطلة

المطر معطوب

وثمة جنوب

يثقب قلب السكون .

11

لم يسبق لي
أن شتمت غيمة
لأنعم بضفادع ميتة .

12

هذه أصابعي
وتلك أحلامكَ
ونحن نتنافس
على قلبكَ الأخضر .

13

أجهلُ كثيرًا

أنكَ تؤوي أخطاءك

كي تُسَلي الجرار

بوجه ثقيل

وأيام منسكبة .

14

تنام غريقًا أيها البحر

وتصحو

مثل صحراء مدللة .

15

أنا أُمشطُ

رأس السنة

وأنتَ تغفر خطيئة

أوجاعها الصدئة .

16

كم من القلوب

أسدلتْ أسراب القمح

أتساءل

أيها الدفء

ذو الأجنحة الذهبية .

17

أحلمُ بحياة مثل هذه

وفراشات مثل تلك .

18

حدّقَ في وجهي

حين فارقته الأقدام

دون أن يشكرني على

حماقة قبره الصغير .

19

أيتها المجنونة

أيتها ال(أصابعي)

ألم أشر اليك بهذا القفاز

وهذا الطين .

20

حين يكون

الهدوء قاتلا

تناولي سيفكِ وامضي

أيتها الضوضاء .

21

إليّ بأجنحة الصدق

لأكذب فيكَ

سماء مالحة .

22

أم واحدة

وسلحفاة نائمة

وأنامل تبكي على الدوام

هكذا قضيت حياتي .

23

يا للصباح الفج

والقمر الرضيع .

24

التلفاز أسود

الصورة التي تعلوه

تضحك بمرارة

والقلوب التي في الشارع

ندية بالأسى ،

تلوح لي

خلف العتمة

تسخر من الصباح

والقلائد المعلقة على الحائط .

25

يا شمس لا تأبهي

بظلام أحبتنا

ويقين فراقهم .

26

أقودُ المسرّة

مثل راهبة

حتى

تألف الوردة

رنين غربتها .

27

أتفقدُ الألم
النازح
من قلبكَ
كلما وضعتَ
حجرًا
في الغياب .

28

وطني يقتلُ صباكِ
أيتها الدموع
يعلّقُ وردة بحجم قذيفة
على صدره الذهبي ،
يأخذنا الغياب .

ويُسرع بنا الموت

كلما بكتْ نخلة في الدار .

.....

اكتموا نعش البلاد

أو لم تنته الحرب

أيها الأصدقاء .

.....

قدمي في المنفى

قلبي يرتجف

كلما يتنزه رغيف

قرب النار .

29

هذا البحر

كلما

يأخذ

حمامة

من الريح

يكتم غيابكَ

ببياض لا حدود له .

....

ابتهلْ

كأجمل وردة

ينفرط

عطرها الآن ،

خذ بساقها

المرغم على الشوك
وقلبها
تسعل فيه الحروب ،
خذ بخطوتي
إليك
تفترق البلاد .

30

رائع يا صديقي
وغربة كل ما يصحو بيننا
كأنكَ جمل متعب
في صحراء كتاب مدرسي ،
وكأني صقر جريح
يضمد العالم بدم بارد
وبضعة سلاطين .

31

مثلما تحلمين

بأناملكِ البغي

أيتها الأوجاع

أحلمُ

بأجراس من الحنين .

32

سوف يَمُتنَّ الأمهات

ذاتَ صباحٍ أحمق

تَصْفَعَهُ أقمارٌ باردةْ

وشموسٌ مهاجرةْ

سوف يمتنَ الأمهات

بسروالٍ أسودْ

وفوطةٍ بيضاءْ

وعلمٍ أخضرْ

يَعْجُنَ الدموعَ بالتُرابِ

ويصْنعُ تماثيلَ

حزنهُنَّ الساخنْ ،

سوف يمتنَ الأمهات

ذات صباحٍ آخر ،

حينها

سوف أنْظُركَ بعناية

وأُصَفّقُ لرعونةِ ذكراكَ .

33

كنتَ تبحث عن الشمس

الآن رحلتْ

شمسكَ التي

لا تُطيق النظر اليك

أو التقرب من ظِلك المخدوع به

ظِلك الذي حاصره المساء

كنت تبحث عنها ،

أسرعتْ تمهدُ لليل

أقدامكَ المعتمة

وقلبكَ المضيء .

34

أيها الندم

يا حلة أيامي القادمة

أُقدِّمُ إليكَ قرابين الدموع

وبلادةَ الروح العطشى ،

أُقدِّمُ إليكَ زهوي بهندامِكَ البغيض

وطاقيتِكَ البائسة

وأنت تطرق عليَّ الباب

وتنوحُ مثل حمامةٍ سوداء

على شبابيك الطفولة ،

أفكرُ في الرحيل اليكَ

والولوج في

رأسٍ غيرِكَ من المتاهات .

35

إخرجْ إلى الحياة

أيها الراعي

ماذا تهبكَ الريح

غير بكاء يخفت

ونوارس تمتهن البياض ،

إخرجْ إلى يومها الخراب

وأثدائها المثقلة بالنحيب .

36

الدمية تغفو

والعالم يتكور

مثل فراشات سود ،

الدمية تنهض

وأنا أمسح صورتك التي

يرسمها الضباب .

37

الظلام أبونا

نترقب نسيجه الغض

خلف السماء .

38

خلف النهر

تجلس بعباءتها الحناء ،

وعلى الطاولة

أقراط الجارة

الأقراط التي تثقب قلبك يا أبي ،

صار بإمكانك

أن تمسك النخلة خلف الضوء

وتقضم أعذاقها المرة ،

صار بإمكانكَ

أن تهرب بها بعيدًا

دون أن تفقد عيدًا

أو تكتوي بحربها البلاد .

نسيان

نسيتُ شكل الفراء

وأناملكَ المبقعة بالكلام

وأنتَ تدّس الضوء

بين الأزهار وفوق الأراجيح ،

نسيتُ أن أختصر

زمن الثلج

وأرمي في يديك البياض ،

وحين عاد المطر

وعاد الشتاء

حين عدنا جميعا

من طابور اليأس

نسيتُ أن أهمس إلى الجدران

ثمة أبواب تسقط سهوا

وثمة أزهار

لا يقطفها الجلاد .

ماونت إلبرت

أنتظرُ حتى

يحين البحر

نومته الشفيفة ،

يدي لا تلقاك

بأشرعة ساخنة

تغادر مدينة السماء ،

السفينة قادمة من الخوف :

النادلة الصغيرة

تضع أمامي الشاي

لم يَحن بعد موعد الغداء ،

على الطاولة الأخرى

زهرة حمراء ورجل مجنون

يقرأ أسرار الماء

يتطلع إلى مدينة بلا سماء

يداعب هواءً مرًا .

......

برج المدينة يكتهل الآن

بلا نوافذ يمد يديه ،

كائن حزين

يحشر رأسه في الغيم ،

تدنو وأبتعد

السفينة الحربية

بأشرعة سود

تمرّر لونًا وكلامًا ،

رأسي لا يخترق الغيم

الطائرة الحربية

بأجنحة سود

تدخل أرضًا أخرى

أُسعدتَ مساءً يا ظلي .

.....

الآن سوف نهبطُ

مضتْ الأعوام سريعًا ،

شمسٌ تشرقُ من جديد

طيرٌ ضاعَ من يدي

حط فوق جبلِ إلبرت ،

ماونت إلبرت

جبل حبيب

مالي أراكَ

متجعدًا مثل

كفن أخي الأخضر .

طَعم الماء

أغلقْ براءتكَ ونمْ

أيها النهر الصامت

للقارب طعم الماء

ولأيامكَ المتعبة

دُعاء الذاهبين ،

صباح عصافيركَ

أول عطر الشتاء

أو صباح شتائكَ

يشيعه

ليل العصافير .

انهضْ كما يليق بفراشة

وارحلْ

كما يليق

بزهرة عطشى

في أول القطف ،

لا تعزْ الموت
أجنحة نومكَ
وتفتحَ النوافذ
للرعد المتعانق في المصابيح .
اغلقْ براءتكَ .....
ونمْ ،
اغلقْ هذا المساء الجنوبي
أو
لتكسرَ هذا الرقاص
وتسرقَ أيامك الغافية فيه .

زهرة ذات مساء

الزهرة

بدمها الشاحب

تغفو على الطاولة

هذا المساء ،

يتلألأ نوحها

كل الشفاه

ذَبُلَتْ

تغرسُ وحدتها .

....

تطلّعْ إليها

تغفو

مثل دمعة

أمسكتَ بها الآن .

....

لا تقتربَ منها

أو تصحوَ على

غصنها الأسود

لها رائحة حزن قديم

وطراوة عانس

في أول العمر .

....

الزهرة التي أيقنتَ جمرتها

تكرر عليك العطر ،

تحت عرشها

شوكة ميتة

وأرض تفور بها الحياة .

....

لمْ تسعل هذا اليوم

لمْ ترقص مع الفراشات

لمْ يذبل يومها

لمْ تكره غصنها

رأيتها ترقد في دمكَ

ندية

بلهاء .

....

تنسجُ

حكايات بعضنا

تبكي علينا

لا تُرهق الحمامات

بسفرنا الطويل

وضحكاتنا الغريبة .

....

قاسية ناركَ التي

أوشكتْ على الرقص

جمرتكَ التي

رميتَ حياتكَ

تلد زهرة

تنضج

كما العطر يرحل هذا المساء .

....

هبطنا إلى الحياة

كل يحمل زهرته

أصابعه الغامضة

ورداءه السميك .

في البلاد البعيدة

لا تُشبهني ..

الدُمية في المرآة

عيون من تمر

ووجه من زجاج .

الأعياد

بالونات تفرُّ من الريح ،

الألعاب النارية

تملأُ كفي

حروب صغيرة

أنتظرُ الصباحَ ،

مطر

وأحذية

ودمعة كهلٍ حزين

تطفآن العالم ،

يا رزاق ..

هبني معطفَ أمي

وضفيرةَ جوليت

هبني قرنفلة

أفرحُ بها

وتفرحُ بيَ .

غيمةٌ فضفاضةٌ

تلهو..

كلما سقطتْ

وردة

من كفنِ الصباح .

ربما مطر

نؤوي إليك

مطر من نعاس

أو مطر من رصاص .

عصفورٌ في كف أرملة

يحلم بالغناء ،

لو أن قفصًا في البيت

وقلبًا

يقترحُ المساء .

رحلنا

صامتين

ترتجف أوصالنا

متى قلنا

ها إننا يفتننا النداء ،

نقتسم براءة الطين

حتى

يُشبه

غيابه

الماء .

ما أثقل الغابة

هذا الصباح

البحر أخضر

والنوارس

تطبق عينيها بصمت

حزينة

ساهمة

سوداء .

ريحٌ

تعوي في بلادٍ بعيدة

تقطفُ أزهارًا قبل أوانها

تغلقُ شبابيكَ

عجائزَ حسناواتٍ

وقططًا بيضًا ،

ريحٌ

تملأ الشارع

صورًا عابسة

وبقايا أطعمة طازجة

وصحفًا

تضمر عطرًا للبلاد ،

ريحٌ تغط

بثوبها الأسود

أيقظتُها

ونهضتُ

أتنهدُ في المرآة .

في كلِّ قلبٍ

فاكهة للشتاء

وصحراء نمضي بها

علّنا

نمسك غزالة

نعبر فيها

ما تبقى من العمر .

Dark brown

لون عينيها

قطة تسأل الله

أن يقطفها ،

كلب أبيض

تصنعهُ

دموعٌ تهبطُ

من السماء .

المحتوى

سلسلة
آفاق
عربية

حين عبث الطيف بالطين...
كنتُ أمضغُ
عشبة سرورِكَ
يا أخي الذي
حملته النوارسُ إليكَ
أيتها الريح،
أرددُ في مؤخرة العصافير
لو تبيض الأيام
مثل جناحيكَ
أو تغزل الشوارع ظِلَّ فقدانكَ
يا أخي الذي
كدتَ أن تحط
لو أن الربيع تأخر قليلاً





www.gocp.gov.eg

السعر: جنيهان